فصل في تهوّ ُرِ بعض المفسرين .

هذه مسألةٌ قد كنتُ عملتُها قديما وقد كتبتُها هاهُنا لأن لها اتصالاً بهذا الذي صارَ بنا القولُ إليه . قولهُ تعالى : (إنّ َ في ذلك لَذِكْرَى لِمَنْ كان لَهُ قَلْبٌ) أي لمن كان أعْمَلَ قلبَه فيما خُلِقَ القلبُ له منَ التدبّ ُرِ والتفكّ ُر والنظر فيما ينبغي أن ينظرَ فيه . فهذا على أن يُجْعَلَ الذي لا يَعِي ولا يسمعُ ولا ينظرُ ولا يتفكّ َرُ كأنه قد عَدِم القلبَ من حيثُ عَدِمَ الانتفاعَ به وفاتَه الذي هو فائدةُ القلبِ والمطلوب منه . كما جُعِل الذي لا ينتفعُ ببصرهِ وسمعهِ ولا يفكر فيما يؤدّ ِيان إليه ولا يحصُلُ من رؤية ما يُرى وسَماع ما يُسمعُ على فائدةٍ بمنزلة من لا سَمْعَ له ولا بَصَرَ .

فأما تفسيرُ من يفسّ ِره على أنه بمعنى " من كان له عقلٌ " فإِنه إنما يصحّ ُ على أن يكونَ قد أرادَ الدّ َلالةَ على الغرض على الجملة . فأمّ َا أن يُؤْخَذَ به على هذا الظاهر حتى كأنّ َ القلبَ اسمٌ للعقل كما يتوهّ َمه أهلُ الحشوِ ومَنْ لا يعرفُ مخارجَ الكلامِ فمُحالٌ باطلٌ لأنه يؤدي إلى إبطالِ الغرض من الآية وإلى تحريفِ الكلام عن صورتِه وإزالةِ المعنى عن جهته . وذاك أنّ َ المرادَ به الحثّ ُ على النظر والتقريعُ على تركِه وذمّ ُ من يُخِلّ ُ به ويَغْفلُ عنه . ولا يحصُلُ ذلك إلا بالطريقِ الذي قدمتهُ وإلاّ بأن يكونَ قد جعل من لا يفقَه بقلبهِ ولا ينظرُ ولا يتفكّ َرُ كأنه ليس بذي قلبٍ كما يُجْعَلُ كأنه جمادٌ وكأنه مَيّت لا يشعر ولا يحسّ ُ . وليس سبيلُ من فسّ َر القلبَ هاهنا على العقل إلاّ سبيلَ من فسّ َر عليه العينَ والسمع في قول الناس : " هذا بَيّ ِنٌ لمن كانت له عَيْنٌ ولمن كان له سمعٌ " . وفسّ َر العَمى والصّ َمَم والموتَ في صفةِ من يوصفُ بالجهالة على مجرّ َد الجهلِ وأَجْرى جميعَ ذلك عل الظاهر فاعرفْه